نظرية الهوية الإجتماعية وتطبيقاتها على الأقليات المهاجرة إلى البلدان الغربية:

مناقشة علمية وتكييف نظري

Theory of Social Identity and its Applications on Minorities Migrating to Western Countries: Scientific Discussion and Theoretical Modulation

د. حميد الهاشمي [1]

[1] أستاذ علم الاجتماع المساعد– جامعة اوربا- هولندا، عضو جمعية العلوم الاجتماعية الهولندية، رئيس تحرير مجلة علوم إنسانية WWW.ULUM.NL.

عدد مزدوج

دراسات

مجلة فصلية محكمة، تعنى بالمقاربات الاجتماعية والإنسانية تصدر عن اتحاد كتاب وأدباء الإمارات العددان ٢٢-٢٣
سبتمبر-أيلول/ديسمبر-كانون أول ٢٠٠٨

تحولات الثقافة العربية من المشافهة إلى الكتابة

سامي مهدي ١١

تقويم الأداء الوظيفي للتربويين وتبعاته في الميدان التربوي

أشواق عبد السلام ٢٧

نظرية الهوية الاجتماعية وتطبيقاتها على الأقليات المهاجرة إلى البلدان الغربية

د. حميد الهاشمي ٥٩

المعوقون داخل المجتمع الجزائري بين التكفل الاجتماعي والتهميش الاعلامي

د. بو ضرسة العلمي ٧٣

الصوفية في النص الروائي العربي بين التباس المفهوم وأهلية التحقق

عبد الله الغزال ٨٧

صورة المرأة الغربية في المنظور العربي في الرواية العربية المعاصرة

د. نجم عبد الله كاظم ٩٥

أورهان باموك وكتابه الأسود بيرنت بريندیمون

ترجمة د. علي بن تميم ١١٣

الدراسات

والاعتقاد العربي للمرأة الغربية، من خلال الرواية. ومن سياسة المجلّة الاهتمام أيضاً بالعلماء والأدباء العالميين، ومن ضمنهم الكاتب التركي الكبير أورهان باموك مصنّف كتاب بيرنت بريندیمون، لاطلاع القارئ على نماذج متميّزة من آرائه وأفكاره وتطلّعاته.

ومن خلال المقالات: تستعرض المجلّة عدداً مختاراً ومتميّزاً، منها: حالة الاغتراب خارج حدود الأيديولوجيا كقراءة معاصرة في وحدة التكوين النفسي والاجتماعي، متوقفة عند عتبات المفاهيم العلمية، ورابطة مفهوم الاغتراب بمتغيرات الواقع، مع إثارة عدد من الأسئلة المهمة والمناقشات التي لا غنى للموضوع عنها. إلى جانب المداخلة الخاصة بموضوع التراث في خطابنا الثقافي بوصفه مفهوماً مفهوماً إشكالياً، خاصّة بعدما كثر الحديث عن التراث في الوقت الراهن، واختلفت منطلقات الباحثين والدارسين له. ومن أمثلة ذلك المقالة التي تناولت معاني ومفاهيم الفيلسوف الحقيقي في منظور الفيلسوف الكبير فردريش نيتشه. كما تتيح المجلة الفرصة لآراء المبدعين من شعراء وقصاصين لتقديم رؤيتهم للغة، ودورها، وموقف المبدع منها، بالقياس إلى الآخرين،، وطرائق تشكلها وكيفية التفكير بها، ما يعكس ضرباً من ضروب التفكير المختلفة وغير التقليدية.

ومن خلال تتبّع المجلّة للقاءات العلمية والتخصّصية نقدّم للقارئ استعراضاً لأحد الملتقيات العلمية وهو الملتقى الحادي عشر للجمعية التاريخية السعودية الذي عُقد في بريدة بالقصيم في شهر مايو الماضي، رغبة منا في وضع القارئ الإماراتي والعربي عامة في العمق مما يحدث من أنشطة وفعاليات في مختلف الفضاءات الثقافية العربية، وتسليط الضوء عليها.

كما ضم العدد عرضين، سلطا الضوء على إصدارين علميين سبق لهما الصدور وسدا فراغاً في المكتبة العربية.

وتبقى هيئة تحرير المجلة بحاجة إلى آراء القرّاء التي تسهم إسهاماً بناء في تطويرها شكلاً ومضموناً، وصولاً إلى ما نطمح ويطمح هو إليه.

رئيس التحرير

المحتويات

الدراسات

١. تحولات الثقافة العربية من المشافهة إلى الكتابة ..... سامي مهدي

٢. تقويم الأداء الوظيفي للتربويين وتبعاته في الميدان التربوي ..... أشواق عبد السلام

٣. نظرية الهوية الاجتماعية وتطبيقاتها على الأقليات
المهاجرة إلى البلدان الغربية ..... د. حميد الهاشمي

٤. المعوقون داخل المجتمع الجزائري بين التكفل الاجتماعي والتهميش الإعلامي ..... د. بوضرسة العلمي

٥. الصوفية في النص الروائي العربي بين التباس المفهوم وأهلية التحقق ..... عبد الله الفزال

٦. صورة المرأة الغربية في المنظور العربي في الرواية العربية المعاصرة ..... د. نجم عبد الله كاظم

٧. أورهان باموك وكتابه الأسود بيرنت بريندیمون ..... ترجمة د. علي بن تميم

المقالات

١. الاغتراب خارج حدود الإيديولوجيا- قراءة معاصرة في وحدة
التكوين النفسي والاجتماعي للمفهوم ..... د. علي أسعد وطفة

٢. التبئير وموضع الذات المدركة- غرفة القياس أنموذجاً ..... د. محمد قاسم نعمة

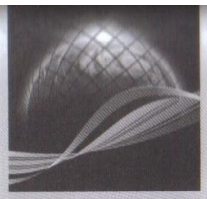

الغـــلاف

٣. الفيلسوف الحقيقي في منظور فردريش نيتشه ..... د. رسول محمد رسول

٤. رواية «شتاء البحر اليابس» نموذج ريادي وسبق فني في
تاريخ الرواية العربية الحديثة ..... عزت عمر

٥. التراث.. هل أصبح مفهوماً إشكالياً في خطابنا الثقافي ..... د. صالح هويدي

٦. اللغة بين المعجم والحياة ..... عدنان الصائغ

٧. متابعـــات ..... د. حمد بن صراي

حوار مع الناقد المسرحي هيثم يحيى الخواجة أجرته: نجاح حلاس

عروض الكتب

١. التفكير والتعلم والذاكرة في ضوء أبحاث الدماغ ..... عرض: أ.د. داود ماهر محمد

٢. علم الاجتماع المدرسي ..... عرض: حواس محمود

ملخص:

تتناول هذه الورقة نظرية الهوية الإجتماعية، وهي نظرية نفس– اجتماعية (psycho-sociological)، تهتم بقضية تحديد الهوية الإجتماعية والتزامها، والصراع بين الهويات الاجتماعية، ومحاولات الأقليات والجماعات الإجتماعية خاصة، من أجل الحفاظ على سماتها الثقافية. سنبحث هنا في ماهية نظرية الهوية الاجتماعية، ونظرية التصنيف الذاتي المتفرعة عنها، وأهم معالم وطروحات هذه النظرية. كما نتناول محاولات التطوير النظري التي أجريت على النظرية، وجهود بعض العلماء فيها خاصة هنري تاجفل وجون تيرنر، وجين فيني. لقد قمنا بإجراء تقييم عام لهذه النظرية في إطار علاقتها بالأقليات المهاجرة إلى البلدان الغربية، ومدى تطبيق طروحاتها على حالتها. وقد عملنا في ضوء ذلك على إجراء تكييف نظري من شأنه أن يحور النظرية ليجعل منها مناسبة لدراسة هذا النوع من الأقليات.

مقدمة:

يعد موضوع الهوية الاجتماعية والثقافية من المواضيع الهامة التي برزت إلى الساحة الفكرية في منتصف القرن العشرين، وخاصة في الولايات المتحدة الأميركية. وارتبط بالأقليات نتيجة لتفاعل وتصارع الهويات المهاجرة خاصة إلى تلك الأراضي. ولصلة الهجرة بموضوع الهوية، فقد حدث ربط كبير بين كل من المفهومين والموضوعين، حيث يعتبر موضوع الهجرة تهديد واختبار لموضوع الهوية الاجتماعية.

ومن تفاعلات موضوع الهجرة، ما يطلق عليه بمفهوم الاندماج الاجتماعي، وهو جملة برامج وأجندات تتبناها الحكومات ومعظم المؤسسات الرسمية والأهلية من أجل استيعاب المهاجرين وإدماجهم في المجتمع بطريقة يمكن وصفها بصورة دقيقة على أنها "توفيقية"، ترضي طرفي المعادلة على الأرجح. والهدف من برامج الإندماج الإجتماعي هو تجنب خلق كيانات إجتماعية جديدة في بلدان المهجر تتمسك بهويات ثقافية واجتماعية متقاطعة مع ثقافة وقيم المجتمع الحاضن، وينجم عن ذلك ردود فعل متفاوتة تبعا لمدى عزلة هذه الكيانات الجديدة، ودرجة تأثيرها في الموطن الجديد.

كما يمكن دراسة مفهوم الهوية الإجتماعية وتطبيقه كبراديغم (paradigm) أو إطار نظري على نفس طابع الهويات المتصارعة أو حتى المتعايشة في مجتمعاتها الأصلية، خاصة المجتمعات ذات المغايرة الثقافية والإجتماعية المتعددة في الأصل.

ومن النظريات الاجتماعية– النفسية التي يمكن أن تستخدم كإطار نظري لبحث هذا الموضوع، هي نظرية الهوية الإجتماعية (Social Identity Theory). وهي من النظريات الحديثة التي تهدف إلى دراسة العلاقات الاجتماعية– النفسية بين الجماعات الاجتماعية، وطبيعة

التعايش القائم خاصة على أساس مخاوف أقلية ما، من محاولات أو إجراءات تذويبها ومحو هويتها الثقافية من قبل الأغلبية المهيمنة.

ونحن هنا نحاول أن نضع هذه النظرية في ميزان هذا التطبيق فيما يتعلق بالأقليات المهاجرة إلى البلدان الغربية، لنقف على مدى الإستفادة منها في هذا الجانب.

سنتناول ماهية نظرية الهوية الاجتماعية، ونظرية التصنيف الذاتي المتفرعة عنها، وأهم معالم وطروحات هذه النظرية. كما نتناول محاولات التطوير النظري التي أجريت على النظرية، وجهود بعض العلماء فيها خاصة هنري تاجفل وجون تيرنر، وجين فيني. لقد قمنا بإجراء تقييم عام لهذه النظرية في إطار علاقتها بالأقليات المهاجرة إلى البلدان الغربية، ومدى تطبيق طروحاتها على حالتها. وقد عملنا في ضوء ذلك على إجراء تكييف نظري من شأنه أن يحور النظرية ليجعل منها مناسبة لدراسة هذا النوع من الأقليات.

ماهية نظرية الهوية الاجتماعية؟

نظرية الهوية الاجتماعية هي نظرية طورت من قبل **هنري تاجفل** (Henri Tajfel) **وجون ترنر (John Napier Turner)** في عام 1979.

وتتضمن هذه النظرية **ثلاثة أفكار مركزية: التصنيف والتعريف والمقارنة** (Categorization, identification and comparison)، ولذلك تدعى أحيانا بنظرية (CIC).

أولا: عملية التصنيف: حيث صنفنا المواضيع لكي نفهمها، بطريقة مشابهة جدا لتصنيفنا للناس (بمن فيهم نحن أنفسنا) لكي نفهم البيئة الاجتماعية. نستعمل تصنيفات اجتماعية هنا مثل: ابيض، اسود، استرالي، مسيحي، مسلم، طالب وسائق باص، لان ذلك أكثر جدوى. إذا تمكنا من تنسيب الناس إلى أصناف يمكننا ذلك من معرفة المزيد عنهم.

وكما رأينا بمثال سائق الباص أو غيره حيث لا نستطيع أن نعمل بدون هذه الفئات. وبمعنى آخر، ضمن سياق الباص وبنفس الطريقة نكتشف الأشياء حول انسفنا وذلك من خلال معرفة انتمائنا إلى أي فئة أو صنف. ونجد هنا خصائص السلوك بالإشارة إلى معايير الجماعات التي ننتمي إليها. ولكنك تستطيع فقط أن تعمل ذلك إذا كنت تستطيع إخبار من ينتمي إلى مجموعتك. ([2])

ثانيا: عملية التعريف أو الهوية (Identification)، حيث نعرف بأنفسنا ضمن الجماعات التي ندرك بأنفسنا الانتماء لها. ويحتمل التعريف هنا معنيين، جزءا من كوننا أعضاء في مجموعتنا، وهو ذلك الذي نعتقده في بعض الأحيان نحن (أنفسنا)، بمقابل (هم). وفي أحيان أخرى نعتبر أنفسنا

[2] The School of Psychology – the Australian National University website, www.anu.edu.au/psychology/social/socident.htm

ك(أنا) مقابل (هو أو هي). ذلك إننا في بعض الأحيان نظن أنفسنا كأعضاء جماعة وفي أوقات أخرى نعتبر أنفسنا كأفراد منفردين. وتتفاوت هذه بشكل موقفي. ولكي نستطيع أن نكون أعضاء في مجموعة أو لا، فإن ذلك يعتمد على الظروف. ما هو حاسم لحاجاتنا ذلك هو اعتقادك بنفسك كعضو في جماعة، وتعتبر نفسك كشخص وحيد فريد، فانه في كلتا الحالتين هو مفهوم لذاتك. الأول أشار إلى الهوية الاجتماعية، بينما أشار الثاني إلى الهوية الشخصية.

فقط نذكر بأنه في نظرية الهوية الاجتماعية تكون عضوية الجماعة ليست شيئا خارجيا ما يثبت على الشخص، بل هو جزء حيوي وحقيقي **نابع من الشخص نفسه**. ونكرر أنه شيء حساس وحاسم للتذكير بالجماعة الداخلية، الجماعة التي تنتسب لها، والجماعة الخارجية التي لا ننتمي لها.

وقد دل المعنى الآخر لمفهوم الهوية على أنه: **الفكرة التي نشعر في وقت ما أننا متطابقين** فيها. أو **ننتمي إلى مجموعة من الناس**.

وهذا الشيء لا يجب أن يفسر بسوء فهم، عندما نقول بأننا متطابقون، فإننا نعني نفس الأغراض التي نتعامل مع أعضاء جماعتنا كأناس مثلنا وتربطنا بهم صلة ما. ولأخذ مثال أكثر حدة في بعض الصراعات العنيفة مثل الحرب، فإن أعضاء الجماعة المقابلة يعاملون بتمييز وباختلاف كلي عن أعضاء الجماعة الداخلية، ذلك أن العدو يعتبر مستحقا للموت. هذا السلوك وهذه المعتقدات هي ليست منتجا لشخصية مضطربة غريبة الأطوار، ولكن تحت هذه الظروف يصبح السلوك العنيف عقلانيا ومقبولا، بل وحتى سلوكا متوقعا.

ثالثا: عملية المقارنة المشتركة في نظرية الهوية الاجتماعية، فهي تعاملنا المسبق مع أحد ما، إنها فكرة فستنغر (Festinger) للمقارنة الاجتماعية (Social Comparison). إن الفكرة الأساسية

هي أنه يوجد فهم ذاتي إيجابي يعد توظيفا نفسيا طبيعيا. هناك دليل جيد جدا على تعاملنا بحيوية مع العالم الذي نحتاجه لنشعر بأنفسنا جيدا. إن فكرة المقارنة الاجتماعية هي نابعة من الحاجة لتقييم أنفسنا حيث نقارن أنفسنا مع الآخرين المماثلين لنا.

لقد ناقشنا مسبقا الفكرة التي نستطيع في ضوئها رؤية أنفسنا من خلال مقارنة أنفسنا مع الآخرين في مجموعتنا، وكذلك نستطيع أن نرى أنفسنا في ضوء إيجابي من خلال رؤية أنفسنا كأعضاء في مجموعة رفيعة المستوى.

والسؤال هو، كيف تتحصل تلك الجماعة على هذه المنزلة الرفيعة؟

وقد أجاب كل من تاجفل وترنر بأن أعضاء الجماعة يقارنون جماعتهم مع الآخرين لكي يدافعوا عنها دفاعا إيجابيا. ولذلك يرون أنفسهم ضمنا في طريق إيجابي. ما الذي يختاره الناس ليقارنوا جماعتهم مع جماعة أخرى بالطريقة التي تنعكس إيجابيا عليهم. وتلي فكرتان رئيسيتان ذلك، **واحدة سمتها إيجابية**، وهي الفكرة التي ترى أن الناس مدفوعون لان يروا جماعتهم بصورة أفضل نسبيا من نظرائها من الجماعات الأخرى. **والفكرة الأخرى هي سلبية**، حيث لا تهتم الجماعات بتقليص الإختلافات فيما بينها. ولذلك فإن جماعتنا الخاصة تنظر إلى نفسها بايجابية أكبر.

إن طبيعة هذه العمليات تتضمن مفهوم الإبداع الاجتماعي، حيث تختار الجماعات الأبعاد لكي تحقق الحد الأقصى من الايجابية لجماعتها الخاصة. وعلى سبيل المثال فإن الجماعات التي تدرك بنفسها بأنها يمكن أن تكون بمنزلة عالية وبأبعاد سوف تختار أساس المقارنة.

وسوف تقلل الجماعات ذوات المواقع المتدنية الاختلافات على تلك الأبعاد أو تختار أبعادا جديدة، فعلى سبيل المثال نجد أن جماعات من بلدان الشرق الأوسط الإسلامية قد تعتبر بلدها اقل

من الغرب من ناحية التقدم الاقتصادي والتكنولوجي، ولكن ربما يعتبرون طريقة حياتهم متفوقة في الجوانب الأخلاقية. ([3])

لقد ميزت هذه النظرية نفسها عن مدرسة علم النفس الاجتماعي الأمريكية (التي إهتمت بالمجموعات الأولية الصغيرة) بتركيزها على إنتماء الأفراد للمجموعات الاجتماعية الكبرى وعلاقة القوة والصراع بينها. ومفهوم المجموعة هنا يختلف عن مفهوم "الفئات الاجتماعية" بميزة العلاقة النفسية المشتركة بين أعضاء المجموعة والوعي لدى أفرادها بأن لهم هوية جماعية مشتركة ومصيرا جماعيا مشتركا. بكلمات أخرى، فإن **الوعي الجماعي والشعور المشترك بالانتماء للمجموعة** هو الذي يشكل العامل النفسي الأهم في تعريف أي تكتل بشري أو فئة اجتماعية كمجموعة لها هوية مشتركة بالمعنى النفسي لمفهوم الهوية الجماعية.

ويقول تاجفل (Tajfel) إن "أي مجتمع يحتوي على تمايزات في القوة والمكانة والهيبة الاجتماعية، وإن المجتمعات كلها هكذا. ويموّضع كل منا في فئات اجتماعية تتحول إلى جزء غير منفصل من تعريفة الذاتي ". بناءاً على ذلك **تعرّف الهوية الجماعية** على أنها " **ذلك الجزء من المفهوم الذاتي للفرد، النابع من وعيه لكونه عضواً في جماعة (أو جماعات) مضافة إليه الإعتبارات القيمية والعاطفية التي تحال إلى تلك العلاقة.** وتشخص نظرية الهوية الاجتماعية **مركّبين** في المفهوم الذاتي للفرد: **الهوية الفردية والهوية الجماعية.** تشمل الهوية الفردية خواص وصفات شخصية عينية مثل الشعور بالاكتفاء، الصفات النفسية، والقيم الشخصية. أما الهوية الجماعية فهي نتاج معرفة الفرد ومشاعره إزاء عضويته في الجماعة التي ينتمي إليها. وهذا الإنتماء

[3] www.anu.edu.au/psychology/social/socident.htm

للجماعة لا يشترط أن تكون هنالك علاقة شخصية مباشرة أو تفاعل وجهاً لوجه بين كافة أفراد الجماعة، بل إن العامل الأساسي هنا هو الشعور النفسي لدى كل فرد بالإنتماء والمصير المشترك الذي يربط أعضاء الجماعة ببعضهم البعض.

من الطبيعي، وهو ما اثبت في دراسات ميدانية عديدة، أن يميل الناس عادةً إلى تفضيل مجموعتهم الداخلية التي ينتمون إليها وان ينحازوا لها مقارنة بالمجموعات الخارجية، حتى وان لم يكن هنالك حالة صراع وتنافس مباشر مع المجموعات الخارجية. وعليه فمن البديهي أن **تتزايد درجة الالتصاق بالمجموعة والانحياز لها والدفاع** عنها في حالة وجود **صراع** مع المجموعة الخارجية.

لقد أكد رائدا نظرية الهوية الجماعية تاجفل وترنر (Tajfel & Turner) أن هنالك علاقة متبادلة بين تفضيلنا لجماعتنا الداخلية وبين تقديرنا الذاتي (Self-Esteem) النابع من عضويتنا في هذه الجماعة أو من هويتنا الجماعية. وعليه فان الإنسان **بحاجة للحفاظ على هوية جماعية إيجابية** وما ينبثق عنها من تقدير ذاتي جماعي بنفس الدرجة التي هو بحاجة للحفاظ على تقدير ذاتي شخصي ايجابي. بكلمات أخرى، هنالك حاجة نفسية داخلية للشعور الايجابي تجاه جماعة الانتماء بنفس درجة الحاجة للشعور الايجابي تجاه الذات. يتم الوصول إلى التقدير الذاتي الجماعي الايجابي من خلال عملية مقارنة اجتماعية بين الجماعة التي ينتمي لها الفرد وبين الجماعات الخارجية ذات العلاقة. أضف إلى ذلك، فان الأشخاص الذين يتمتعون بتقدير ذاتي جماعي ايجابي يميلون أكثر من غيرهم إلى المشاركة في النشاطات السياسية الاجتماعية بهدف تعزيز مكانة جماعتهم ونيل حقوقها الجماعية. وهذه العلاقة الجدلية بين التقدير الذاتي الجماعي وبين

النشاط لخدمة مصالح المجموعة تشكل حجر الزاوية لنهوض واستمرارية الكثير من الحركات السياسية.

نظرية الهوية الاجتماعية والأقليات المهاجرة:

في حالة الأقليات التي تعيش في أوربا الغربية نجد توجه الأشخاص إلى الممارسات التي تكرس هويتهم الثقافية وتعرف بهم أكثر وتقرب المسافة بينهم وبين الآخر. ويحاول هؤلاء عادة إبراز الجوانب الإيجابية والتنصل من العادات السيئة والشاذة في ثقافتهم الأصلية، مالم تكن هذه مقدسة لديهم، فإنهم سيحاولون مداراة ذلك وتأديتها بعيدا عن الأنظار قدر الإمكان. ويكون الدافع السياسي عاملا ثانويا وذلك بسبب تمتع هؤلاء بحقوق وامتيازات تضعهم بمساواة مع المواطن الأصلي.

من المتوقع أن يكون للإنتماء إلى مجموعات الأقلية المضطهدة والمقموعة تأثير سلبي على الحالة النفسية للفرد يتراوح بين الاستدخال النفسي للاضطهاد وبين التمرد عليه والعمل على تغييره. في سياق فرض مجموعة الأغلبية هيمنتها على الأقلية، والتي لا تنحصر في الهيمنة العسكرية والاقتصادية والسياسية فقط، بل أيضا الهيمنة الفكرية والثقافية والآيديولوجية من خلال المؤسسات الاجتماعية المختلفة كالمدرسة وغيرها، فهذا من شأنه أن يؤدي إلى تراكم شعور سلبي يسرب القمع لدى أعضاء مجموعة الأقلية ونابع من مكانة مجموعتهم المستضعفة في البنية الاجتماعية. ففي هذه الحالة ميّز تاجفل (Tajfel, 1981) بين **نوعين من التشكيلات الإجتماعية** في فهم العلاقة بين الأغلبية والأقلية في أي مجتمع. ففي الحالة الأولى تكون الحدود الاجتماعية بين المجموعتين مرنة وغير واضحة مما يفتح المجال أمام إمكانية الحراك الاجتماعي(Social Mobility) بشكل فردي.([4])

[4] مكاوي، إبراهيم، الحركة الطلابية الفلسطينية في داخل كمدرسة لبلورة الهوية القومية، مجلة الجيل الجديد الفلسطينية 2002/11/30. مكاوي، إبراهيم، الحركة الطلابية الفلسطينية في الداخل كمدرسة لبلورة

هنا يتخلص الفرد من الحالة السلبية الناجمة عن إنتمائه لمجموعة الأقلية المضطهدة من خلال التخلي عن مجموعته الأصلية والالتحاق بالأغلبية ثم الانصهار فيها. أما في الحالة الثانية فتكون الحدود الاجتماعية بين المجموعتين واضحة ومغلقة مما يجعل إمكانية الانتقال من مجموعة إلى أخرى شبه مستحيل. هنا يكون العامل المركزي في الانتماء للمجموعة هو بمثابة صفة طبيعية مكتسبة مثل العنصر، النوع، أو الانتماء الاثني. ففي هذه الحالة تكون الإمكانية الوحيدة أمام أعضاء الأقلية المضطهدة للتخلص من الوضع السلبي الناجم عن علاقة القوة والصراع هو التغيير الاجتماعي (Social Change) الذي يؤدي إلى تغيير جماعي في العلاقة بين المجموعتين. ([5])

وتجد من يحاول من أبناء الأقليات المضطهدة إيجاد حل وسط بين الحراك الاجتماعي الفردي وبين التغيير الاجتماعي الشامل، مراده تغيير مفاهيم وأفكار أعضاء الأقلية المضطهدة حول عوامل ومركبات الاضطهاد، إن لم يكن من الممكن تغيير حالة الإضطهاد نفسها. وهذه الحالة موجودة في مجتمعات تقتصر بها العلاقة السلبية بين المجموعتين على آراء نمطية مسبقة ومواقف سلبية بين أعضاء المجموعتين دون أن يكون لذلك أي تأثير حقيقي في علاقة القوة والهيمنة بين المجموعتين. والخطورة هنا تكمن في قناعة بعض عناصر المجموعة المضطهدة بأن المشكلة تكمن في الآراء المسبقة والمواقف السلبية بين أعضاء المجموعتين في حين تكون القضية واضحة بأنها تكمن في علاقة القوة والصراع.

الهوية القومية، مجلة الجيل الجديد الفلسطينية، 11/30/200 ، http://www.jeeljadeed.com/pub/ST_ShowDerasat.asp?ID=6 وللمزيد راجع: Tajfel, H. Human groups and social categories. Cambridge, UK: Cambridge University Press. 1981.

[5] – المصدر نفسه.

التجديد في نظرية الهوية الاجتماعية:

وما فتئ أن ظهر **تطوير نظري لاحق** في سياق نظرية الهوية الجماعية وعلاقة القوة بين المجموعات هو مفهوم الحرمان النسبي (Relative Deprivation) والذي شغل محور معالجات وأبحاث في مجالات أكاديمية متنوعة. في كتابه الرائد (Why Men Rebel) ([6]) يعرّف تيد غور (Gurr) مفهوم الحرمان النسبي من وجهة نظر العلوم السياسية على انه "إدراك الأشخاص لوجود حالة **تضارب بين توقعاتهم القيمية وقدراتهم القيمية** على تحقيق هذه التوقعات". ونتيجة لذلك، "يتمرد الناس ضد ظروفهم ليس عندما يكونوا محرومين بالمفهوم المطلق للحرمان، ولكن عندما يشعرون إنهم محرومون بالنسبة إلى أشخاص أو جماعات خارجية". إذن العامل الأساسي في مفهوم الحرمان النسبي هو المقارنة مع الآخر والقناعة بأن لك حق شرعي في الحصول على نفس الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها هذا الآخر سواء كان فردا أو مجموعة. ([7]) وقد ظهر تمييز آخر بخصوص مفهوم الحرمان النسبي هو تمييز بين مركباته الذهنية/المعرفية ومركباتة العاطفية حيث يصر بعض الباحثين من علم النفس الاجتماعي على أن الحرمان النسبي الجماعي يشمل" تضارباً سلبياً مدركاً بين وضع الفرد أو وضع جماعته وبين مرجع معين يرافقه

---

[6] Gurr, Ted R. Why Men Rebel. Princeton, N.J: Princeton University Press,,1970, p. 24.

[7] مكاوي، ابراهيم، الحركة الطلابية الفلسطينية في الداخل كمدرسة لبلورة الهوية القومية، مجلة الجيل الجديد الفلسطينية، 11/30/2002 ،
http://www.jeeljadeed.com/pub/ST_ShowDerasat.asp?ID=6

شعور بعدم الاكتفاء والغضب. ([8]) " فحالة الغضب والاستياء من حالة الحرمان النسبي وليس العامل الذهني المعرفي فقط، هي الدافع الأساسي وراء التمرد ضد حالة الحرمان النسبي.

لقد ميّز رونسمان (Runciman) بين الحرمان النسبي الأناني (أو الفردي) والحرمان النسبي (أو الجماعي). يحدث الحرمان النسبي الفردي عندما يقارن الأفراد وضعهم الشخصي بوضع أفراد آخرين من نفس جماعتهم الداخلية، فيسيطر هنا العامل الفردي الأناني والاهتمام بدائرة الذات. أما الحرمان النسبي الجماعي فيحدث عندما يشعر الأفراد أن جماعتهم الداخلية محرومة عموماً مقارنة بجماعات خارجية. أن تحديد المجموعة الخارجية والعامل الذي تتم المقارنة حسبة مهم جداً في مفهوم الحرمان النسبي الجماعي، وهذا يعود بالأساس إلى تحديد الهوية الجماعية للمجموعة التي ننتمي إليها. بكلمات أخرى، **تشكل الهوية الجماعية شرطا مسبقا لحالة الحرمان النسبي الجماعي([9])**.

لقد **أحدثت مدرسة الهوية الجماعية كما أوردنا أعلاه ردود فعل وتطورات** نظرية عديدة لدى الكثير من الباحثين في علم النفس في الولايات المتحدة الأمريكية. في برنامج دراسة الهوية الاثنية لدى جيل المراهقة من أبناء الأقليات الإثنية في الولايات المتحدة، طورت جين فيني (Jean Phinney) نموذجاً يتكون **من ثلاث مراحل لتطور الهوية الإثنية** يجمع بين تعريف الهوية الجماعية كما أورده تاجفل (Tajfel)، وبين نظرية ايركسن (Eriksson) في علم النفس التطوري التي نصت على أن استكشاف وبلورة الهوية بشكل عام يشكل أهم عوامل التطور النفسي في جيل المراهقة. وحسب نموذج فيني

---

[8] **Olson**, J., & **Hafer**, C. L. (**1996**). Affect, motivation, and cognition in relative deprivation research. In R. M. Sorrentino & E. T. Higgins (Eds.), Handbook of motivation and cognition (Vol. 3, p. **85**). New York: Guilford Press.

[9] مكاوي، إبراهيم، مرجع سبق ذكره.

(Phinney)فان **المرحلة الأولى** هي مرحلة الهوية الإثنية الغير مفحوصة (unexamined) حيث المراهقين من أبناء الأقليات الإثنية يتقبلون بشكل أولي قيم ومواقف ثقافة الأغلبية. بما في ذلك فهم يستدخلون النظرة السلبية التي تميز موقف الأغلبية تجاه مجموعتهم. أما **المرحلة الثانية** فهي مرحلة البحث والاستكشاف للهوية الإثنية (Moratorium) يأتي هذا الاستكشاف لمفهوم الهوية الإثنية كنقطة انعطاف تنبع عن تجربة حدث ذي أهمية يصادفه مراهق فيضع انتماءه الاثني على المحك. وغالباً ما يكون ذلك الحدث مواجهة التمييز العنصري بشكل فردي أو جماعي أو الانتقال من بيئة المدرسة إلى الجامعة في وسط الأغلبية. و**المرحلة الثالثة** هي مرحلة انجاز أو استكمال بلورة الهوية الإثنية (Identity Achieved)حيث يصل المراهق إلى درجة عميقة من الوعي والثقة بكونه عضواً في مجموعة اثنية معينة تشكل جزء أساسيا من مفهومه الذاتي.

وفقاً لنموذج فيني (Phinney,1989) تتم **صيرورة تطور** الهوية الإثنية عبر الانتقال بشكل تدريجي من مرحلة الهوية الإثنية غير المفحوصة إلى مرحلة البحث والاستكشاف ومن ثم إلى مرحلة الإنجاز كمرحلة نهائية في تطور الهوية الإثنية. وقد أظهرت دراسات عديدة بأن هنالك علاقة ايجابية بين المراحل المتقدمة من تطور الهوية الإثنية من جهة، وبين التقدير الذاتي والتوافق النفسي للفرد من جهة أخرى .أضف إلى ذلك، فقد بينت الدراسات أن الأشخاص الذين وصلوا إلى مراحل متقدمة من مراحل تطور هويتهم الإثنية قد كانوا ضالعين في نشاطات ثقافية سياسية تعبّر عن مضمون ومركبات هويتهم وثقافتهم الإثنية. بكلمات أخرى، هنالك دلائل على أن الهوية الإثنية لدى النشطاء السياسيين تصبح نظرياً سبباً ونتيجة للنشاط السياسي في نفس الوقت . ([10])

[10] ابراهيم مكاوي، الحركة الطلابية الفلسطينية في الداخل كمدرسة لبلورة الهوية القومية، مجلة الجيل

نظرية التصنيف الذاتي:

ولجون تيرنر (John Turner) وزملائه تطوير نظري أسماه ب(نظرية التصنيف الذاتي) وهي نظرية نفسية اجتماعية (تفرعت من نظرية الهوية الاجتماعية) . وبتبسيط أدق فان هذه النظرية تفترض بان المسلمات التي ندركها في أوقات مختلفة، فإننا ندرك أنفسنا كأفراد وحيدين، وفي أوقات أخرى كأعضاء في جماعات وان هذين الاحتمالين هما تعبيران صحيحان على حد سواء للذات. ذلك أن هوياتنا الاجتماعية (اشتقاق من المجموعات التي ندرك بأنفسنا أننا أعضاء فيها) كحقيقة وأساس للنفس كهوية شخصية (مشتقة من وجهة نظر شخص ما كفرد وحيد)، ونعرف أنفسنا من خلاله، أما المستوى الشخصي والمستوى الاجتماعي فكلاهما مرن وعدائي من الناحية العملية. لذا فانه على سبيل المثال، إذا عرفنا أنفسنا في حدود عضوية الجماعة، (ذكورا) أو (إناثا) مثلا في مواقف محددة، فانه يعني في ذات الوقت إننا نعي أنفسنا بدرجة اقل كأفراد وحيدين. ([11])

تقر النظرية بإمكانية وجود أكثر من مستوى للهوية (مشار إليها باسم مستويات التجريد)، ليست فقط الشخصية والاجتماعية. إن هذا هو التغيير المرن في الإدراك الذاتي الذي يعضد حجر الزاوية للنظرية. وبشكل حاسم لدراسة النفوذ الاجتماعي فان مستوى جماعة التجريد، هو المستوى الذي يميل فيه الأفراد إلى اعتبار أنفسهم قابلين للتغير الداخلي نسبيا (من ناحية التصورات والاعتقادات) مع الناس الآخرين.

الجديد الفلسطينية، 11/30/2002 ،
http://www.jeeljadeed.com/pub/ST_ShowDerasat.asp?ID=6

[11] http://changingminds.org/explanations/theories/in-group_bias.htm

يمكن إختزال نزعة الإنتماء للجماعة (In-Group Bias) في التوصيف التالي : "إذ كنا نعتقد بان أحدا ما آخرا في الجماعة التي ننتمي لها، فإننا سوف يكون لدينا انطباع ايجابي له، ونعطيه مفاضلة أكبر. يأتي هذا العمل لأننا نبني إجلالا لأنفسنا من خلال الانتماء. وان حضور أحد ما من الجماعة الداخلية يذكرنا بذلك الإنتماء. إن عكس النزوع إلى الجماعة الداخلية، هو النزوع إلى الجماعة الخارجية، وذلك بالاستدلال بان الناس في الجماعة الخارجية قد يعطون نظرة سلبية وإنهم يتعاملون بسلبية كبيرة. إن هذه هي أسس التفاوت العنصري. فيما يتعلق بالنزعة اللغوية والتي تدل على أن الناس في الجماعة الخارجية يُختزلون بمصطلحات قصيرة عندما يتطابقون مع نمط الجماعة الخارجية. إن أناس الجماعة الخارجية سوف يشار لهم بتحديد اكبر وبمصطلحات أدق عندما يتصرفون بطرق غير متوقعة.

وفي هذا الصدد نجد أن هنري تاجفل (Henri Tajfel) **قد قسم** بوضوح الناس إلى مجاميع عشوائية. حيث وجد هؤلاء الناس بعجالة أنفسهم في جماعة داخلية إنسانية مفضلة على آخرين في جماعة خارجية، وحتى في حالة إيجاد سجالات عقلانية حول كيفية الانحراف وعدم الالتزام ألقيمي للجماعة الخارجية. ويعطي مثالا على ذلك فيقول: *" انظر إلى الأطفال في باحة المدرسة، لاحظ كيف ينظمون أنفسهم في جماعات، وكيف يعامل هؤلاء من ليس في عصابتهم".* ([12])

ويقابل هذا ما يدعى **بتجانس الجماعة الخارجية** (Out-Group Homogeneity): نقصد بتصنيف الناس الذين لا ينتمون إلى جماعتنا كما لو أنهم غرباء عنا. ويبدون كما لو انه

---

[12] http://changingminds.org/explanations/theories/in-group_bias.htm
For more reading, see: Linville, P. W., Fischer, G. W. and Salovey, P. Perceived distributions of characteristics of in-group and out-group members: Empirical evidence and a computer simulation. Journal of Personality and Social Psychology, 57, 1989, 165-188.

مصدر اصطلاحي شائع. وفي تناقض نرى الناس في خارج الجماعة الداخلية كما يبدو أكثر فردية. لذلك فان المقصود باستخدام جماعة نمطية من الناس من بلدان أو مدن مختلفة. يقودنا هذا التعميم إلى وصف وتيرة التمايز باتجاه الناس من هذه المجموعات.

عند زيارة بلد جديد أو جماعة جديدة، فان سلوك القلة الأولى من الناس الذين نقابلهم سوف نعتاد بسرعة عليه لنكون صورة عن الآخرين في هذه المجموعة.

وبمثال تبسيطي فإنه يمكن القول أن معظم القتال الدائر في العالم هو ناجم عن الإختلاف الديني، وقد إختار المتطرفون تعميم الذنب على الطرف الآخر، وعلى نحو فردي لذنوب نظرائهم على حد سواء بما يرجح لإرتكاب نفس أعمال الحرب. إن هكذا إبادة جماعية تبدو الجواب الوحيد الذي يفسر تقاتلهم الأعمى. ([13])

لقد قدمت نظرية التصنيف الذاتي إلى العديد من العمليات في علم النفس الاجتماعي، وبشكل خاص التنميط الاجتماعي والعدالة الاجتماعية وسلوك الحشد وعمليات الجماعة الصغيرة. ولكن ذلك يظهر بصورة جدلية أكثر تطبيقا وشمولية ليؤرخ تفسير النفوذ الاجتماعي.([14])

---

[13] http://changingminds.org/explanations/theories/out-group_homogeneity.htm

[14] للمزيد حول النظرية راجع الموقع الفرعي لعلم النفس التابع للجامعة الوطنية الاسترالية:
http://www.anu.edu.au/psychology/social/socident.htm

مناقشة إجمالية لنظرية الهوية الاجتماعية:

بناء على نظرية الهوية الاجتماعية ونظرية التصنيف الذاتي، فإن الهويات الاجتماعية معرفة على أنها جوانب من تصنيف الذات النابعة عن وعي الإنسان وميله لأن تكون له عدة انتماءات (قومية، دينية، طبقية ... الخ) بالإضافة للانتماء لمجموعة ذات مكانة مرموقة وهو أمر مرغوب أيضاً بسبب مردوده الإيجابي على الهوية الاجتماعية للفرد. وتفترض أيضا نظرية الهوية الاجتماعية **أن أفراد الأقلية يتبنون استراتيجيات متنوعة لتفادي الشعور بالذات المتدنية، وأحياناً نجدهم راغبين في قطع الصلة مع مجموعتهم ذات المكانة المتدنية والسعي إلى الانضمام للمجموعة ذات المكانة المرموقة،** وهناك استراتيجيات أخرى يمكن أن تتبناها أية أقلية تسمى "**الإبداع الاجتماعي**" حيث أن أفرادها قد يحاولون تحقيق التميز الإيجابي لمجموعتهم بواسطة إعادة تعريف أبعاد المقارنة بين مجموعتهم والمجموعة الخارجية بالإضافة إلى أن أفراد المجموعة ذات المكانة المتدنية قد يختارون خوض غمار المنافسة المباشرة مع المجموعة الخارجية بواسطة تحريك المجموعة كجماعة واحدة وتحدي الوضع القائم. ([15])

بالنسبة **لنظرية الهوية الاجتماعية** التي ترتكز على أفكار ثلاثة رئيسية كما ذكرنا مسبقا، هي **(التصنيف والتعريف والمقارنة)**، يتم تفسير علاقة أقلية مهاجرة بمجتمع المهجر، على سبيل المثال، الأقلية العراقية المهاجرة إلى هولندا. فمن خلال الفكرة الأولى (التصنيف)، نفترض أن المهاجر العراقي يصنف نفسه من ضمن جماعة اجتماعية في بلد المهجر يشترك معها بخصائص، وهي الجالية العراقية **[الثقافة العراقية]**، لان المهاجر العراقي يشعر بإنتماء إلى الثقافة العراقية

---

15 بيسان عدوان، قراءة في فلسطينيي 1948، الوعي الجماعي والضبط الاجتماعي والاقتصادي، مقال منشور في مجلة رؤية الفلسطينية، العدد26-01-2003.
http://www.sis.gov.ps/arabic/roya/26/page5.html

بتنوعاتها، أكثر من شعوره بالانتماء إلى الأقلية (الجالية). ثم أن الأقلية العراقية هنا لا توجد تنظيمات توحدها أو تستهدفها بصورة عامة، وإن كانت هناك بعض المنظمات والجمعيات الثقافية ترفع هذا الشعار، لكن في معظمها تعبر عن رغبة في إشباع الحاجات الثقافية لهذه الجالية والتي هي امتدادا للثقافة العراقية، أو تستهدف تعريف الآخر بهذه الثقافة، و يصنف (المهاجر العراقي) هذه الجماعات الاجتماعية أو الأقليات الإثنية وفق انتماءاتها البارزة.

وبالفكرة الثانية (التعريف)، يشخص المهاجر العراقي في هولندا انتماءه وهويته الفردية والجماعية ضمن الجالية العراقية **[الثقافة العراقية، وقد يتمازج الفردي بالجماعي، أو الانجاز الفردي بالهوية الثقافية]**، و(بالمقارنة)، وهي الفكرة الثالثة في نظرية الهوية الاجتماعية، يرى نفسه من خلال مقارنتها بالآخرين، نتيجة لحاجته لفهم إيجابي ذاتي، ويحاول أن يقلص المسافة مع الآخر وصولا إلى إعطاء صورة إيجابية.

وبالوعي الجماعي والشعور المشترك بالإنتماء للمجموعة الذي يشكل العامل النفسي الأهم في تعريف أي تكتل بشري له هوية مشتركة، **[يمكن إن نختزل وعيا فرديا أكثر منه جماعيا]**، في حالة المهاجر العراقي هنا، وأما الوعي والشعور المشترك، فهو تجاه إنتمائه لثقافته– العراقية، العربية– أو الكردية أو التركمانية ...الخ، الإسلامية أو المسيحية أو الصابئية أو الايزيدية ...الخ، أو أي انتماء آخر.

إن الشعور الجماعي وروح الجماعة، يكاد يغيب في حالة الجالية العراقية في هولندا، وذلك لغياب التهديد أو الخطر الخارجي الذي يواجهها، خاصة إذا ما قورنت بحالة الأقليات المهددة والتي تعاني صراع الهوية، مثل فلسطينيي 1948 في (إسرائيل) أو غيرهم. ولهذا يكون إنتماء العراقي إلى الثقافة العراقية بتنوعاتها التي أشرنا إليها قبل أن تكون روح إنتمائه إلى أقلية. وعن العلاقة المتبادلة بين تفضيلنا لجماعتنا الداخلية وبين تقديرنا الذاتي، كما يقول تاجفل. ([16]) **[نجد هنا أن التقدير الذاتي والإعتداد بالهوية الفردية والجماعية يشتد بقدر تعرضه للإنتقاد أو التجريح الكبير من الآخر، أو المنافسة مثلما هو الأمر بالمقارنة].**

ولتمييز علاقة الأقلية العراقية بالأغلبية الهولندية، نذهب إلى طرح هنري تاجفل رائد نظرية الهوية الإجتماعية، والذي ميز بين نوعين مما أسماه بالتشكيلات الإجتماعية، لفهم العلاقة بين

[16] Tajfel, H. Human groups and social categories, Op. Cit.

الأغلبية والأقلية في أي مجتمع. ويقوم هذا الطرح على تمييز مرونة وعدم وضوح الحدود بين المجموعتين في الحالة الأولى، وهو ما يفتح المجال أمام إمكانية الحراك الاجتماعي بشكل فردي. مركزا على حالة هروب الفرد من سلبية مجموعته (المضطهدة) ليلتحق بالأغلبية ثم الإنصهار فيها. أما في الحالة الثانية فهناك ما أسماه باستحالة هذه النقلة والحراك، بسبب الوضع المناقض الذي يعني وجود الحدود الإجتماعية الفاصلة والمميزة بين المجموعتين. وهو ما ينجم عنه ما أسماه بـ(العامل المركزي في الانتماء للمجموعة) والذي يقارنه بالصفة الطبيعية المكتسبة كالنوع، أو الإنتماء الأثني. ففي هذه الحالة تكون الإمكانية الوحيدة أمام أعضاء الأقلية المضطهدة للتخلص من الوضع السلبي الناجم عن علاقة القوة والصراع هو التغيير الإجتماعي (Social Change) الذي يؤدي إلى تغيير جماعي في العلاقة بين المجموعتين. ([17])

قد ينطبق هذا الوصف على حالة المجتمعات ذات المغايرة الثقافية، أو التمايز الطبقي، أو هيمنة وإضطهاد جماعة لأخرى، والتي بنيت علاقاتها على أساس من الحذر والتنافر، وربما الصراع على فترات مختلفة. وهو ما لا ينطبق كثيرا على طبيعة ميدان وحالة دراستنا هذه.

---

[17] For more reading, see Tajfel, H. Human groups and social categories. Cambridge, UK: Cambridge University Press. 1981, & Tajfel, H. and Turner, J. C. (1986). "The social identity theory of intergroup behavior." In S. Worchel and W. G. Austin (Eds.), The psychology of Intergroup Relations, Chicago: Nelson-Hall.

تكييف نظري:

بناء على ما سبق، يمكن أن نعدل الطرح النظري هذا ليكون، **[إذا ما كان مجتمع المهجر منفتحا ويعطي الفرص للمهاجر، فإن ذلك سيسهل إندماجه معه. والعكس صحيح أيضا. كما أن هناك من بعض المهاجرين من يحاول التخلي عن بعض أو الكثير من قيم وعناصر من ثقافته الأم، ويتبنى قيم مجتمع المهجر، إما لأنه يجد حرجا و(تخلفا) فيها، أو إعجابا وانبهارا في الثقافة الجديدة الحاضنة. وهذه عادة ما تكون مبادرات فردية]**.

[هناك حاجة نفسية للثقافة] وهو ما يعبر عنه في نظرية الهوية الاجتماعية بـ"حاجة نفسية داخلية للشعور الإيجابي تجاه جماعة الانتماء". ([18])، وهي الثقافة الأم والتي مثلت مراحل الطفولة والصبا والمراهقة، حتى سن البلوغ، أي خاصة في **المراحل المبكرة** من حياة الفرد، والتي تكون شخصيته قد تبلورت وفقها. وهذا هو مفترق الطرق في الأعم الأغلب في تكوين شخصية وهوية الفرد الثقافية. وأما حالات الخروج عن هذا التكوين الثقافي، فإنه لا يعدو أن يكون**[تمردا]**.

وينجم هذا التمرد عن رغبة في كسر الكثير من القيود والمحرمات التي تفرضها الثقافة الأم أو ثقافة المهاجر هنا عليه، أو نتيجة لشعوره بـ(تخلف ثقافته)، مقارنة بالثقافة الحاضنة. ويساعد على ذلك **إبتعاده عن أعين ورقابة** أبناء مجتمعه المحلي الذي تربى فيه، أو أبناء ثقافته بصورة عامة، أي أن جو المجهولية التي يعيش في كنفها في مجتمع المهجر، يشجعه ويساعده على هذا التمرد. وليس بالضرورة أن ينتج التمرد هنا عن "إدراك الأشخاص بوجود حالة تضارب بين توقعاتهم وقدراتهم القيمية على تحقيق هذه التوقعات ... الخ" كما يقول تيد غور ([19]).

كما أنه ليس بالضرورة أيضا أن تكون مراحل تطور الهوية مرتبة بالشكل الذي طرحته **جين فيني** في تطويرها النظري لمراحل تطور الهوية الإثنية، ([20]) والتي تشير باختصار إلى أن مراحل ثلاث تمثل الأولى (الهوية الإثنية الغير مفحوصة أو المختبرة، أي تقبل قيم الأغلبية بما فيها

---

[18] See: Tajfel, H. Human groups and social categories. Cambridge, UK: Cambridge University Press. 1981.

[19] راجع المبحث الخاص بنظرية الهوية الاجتماعية في فصل الإطار النظري من هذا البحث.

[20] راجع المبحث الخاص بنظرية الهوية الاجتماعية، فيه في فصل الإطار النظري من هذا البحث أيضا والإحالات الموجودة.

السلبية)، والثانية (بحث واستكشاف الهوية الإثنية، والتي توضع على المحك عند مواجهة موقف عنصري مثلا)، والثالثة (إستكمال وإنجاز بلورة الهوية الإثنية، أي وصول المراهق إلى درجة عميقة من الوعي والفهم الذاتي). فالحال هنا بالنسبة للمهاجر يكون في العموم **[تلقي الطفل تنشئة متينة إلى حد كبير من أسرته وفقا لقيم ثقافتها الأم، وفي المرحلة الثانية يعيش الصبي المهاجر مرحلة مقارنة ثقافته (ثقافة أسرته) مع ثقافة مجتمع المهجر، وفي مرحلة المراهقة، يشهد تمردا في غالب الأحيان على ثقافته الأم (ثقافة أسرته)، ويشتد هذا التمرد كلما تقدمت مراحل الأجيال المهاجرة]**. فأبناء الجيل الثاني أكثر قابلية على الاندماج من الجيل الأول، والجيل الثالث أكثر منهما والجيل الرابع يصل ربما إلى مرحلة الذوبان أو التمثل (assimilation)، وهو ما تؤكده دراسات الهجرة وأدبياتها بصورة عامة وتجمع عليه. فالحال إذا معكوس هنا على ما طرحته البروفيسورة جين فيني (Jean Phinney). ([21]).

وبهذا فإننا نركز هنا في طرحنا النظري هذا على دور **التنشئة الثقافية المبكرة** في حياة الفرد وتأثيرها السحري عليه. ويكون الإختبار الحقيقي **لسحرية الثقافة** في حالة المهاجرين سواء كانوا أفرادا أم أقليات. ولعل ما يمكن أن نسميه بالجانب العقيدي (الديني أو المذهبي أو العنصري) هو الأكثر تأثيرا وجذبا وسحرية على الشخصية في مراحل حياتها. ولهذا نجد تأثير العقيدة قويا في مدى الاندماج الاجتماعي.

وقد لمسنا من خلال دراستنا الميدانية للمهاجرين العراقيين إلى هولندا ([22])، المدى الذي يمكن للمهاجر أن يتخلى عن قليل أو كثير من سمات ثقافته الأم، نتيجة تعرضه لمطلب وتحدي

---

[21] للمزيد من الاطلاع حول هذه العالمة وأعمالها، يمكن الاطلاع على الصفحة الخاصة بها على شبكة الانترنت والتابعة إلى مدرسة العلوم الطبيعية والاجتماعية، قسم علم النفس (School of Natural and Social Sciences
Department of Psychology)، وهذا رابط هذه الصفحة:
http://www.calstatela.edu/academic/psych/html/phinney.htm

[22] اعد الباحث أطروحة دكتوراه بعنوان "الجاليات العربية المهاجرة في البلدان الغربية وإشكالية البناء الاجتماعي: المهاجرون العراقيون في هولندا إنموذجا"، مقدمة إلى كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة تونس، عام 2006، ونال بموجبها شهادة الدكتوراه بتقدير مشرف جدا. وقد استفاد من نتائج الدراسة في مناقشة هذه النظرية.

الإندماج الاجتماعي، وذلك من خلال التغير الاجتماعي الذي تمثل في نوعين من التغير، أحدهما مظهري، تمثل في نوع الملابس والعادات الغذائية وغيرها، وآخر جوهري، يتمثل في تعديل أو تغيير بعض المعتقدات ووجهات النظر والممارسات السلوكية مثال إحترام الوقت وإحترام حرية الآخرين والنظرة إلى الدين ومدى الإيمان بالقوى الغيبية والنظرة إلى المرأة وطريقة تربية الأبناء. وكل ذلك خاضع لإعتبارات كل من العوائق والعوامل المساعدة على الاندماج الاجتماعي.

خاتمة:

إن نظرية الهوية الاجتماعية والنظرية المتفرعة عنها والتي عرفت بـ(نظرية التصنيف الذاتي)، تلاءمان الأقليات الأصيلة التي تعيش في كنف أغلبية اجتماعية وثقافية، تمارس هيمنة عليها. وتمارس استلابا لحقوقها السياسية والثقافية. وإن هناك تاريخا من التناحر والصراع أو محاولات الإبادة والمحو الثقافي لها.

وعليه فان مثل هذه النظرية يصعب إنطباقها على الأقليات المهاجرة إلى بلدان أوربا الغربية التي فتحت أذرعها إلى موجات من الهجرة التي تتسم بالمغايرة الثقافية وخاصة تلك القادمة من الشرق والشرق الأوسط. وإن هناك برامج ومحاولات للاندماج الاجتماعي لهذه الأقليات تعدها حكومات هذه البلدان، سمتها أنها غير قسرية، وإن المهاجر بإمكانه اختيار درجات التقارب والتعايش بل حتى الذوبان في المجتمع الحاضن. وإن هذا بالتالي لا يخلق شعورا بأنه مستهدف ومستلب وخاضع بالإكراه للإنصهار في المجتمع الأوسع.

قائمة المراجع:

- بيسان عدوان، قراءة في فلسطينيي 1948، الوعي الجماعي والضبط الاجتماعي والاقتصادي، مقال منشور في مجلة رؤية الفلسطينية، العدد26-01-2003. **http://www.sis.gov.ps/arabic/roya/26/page5.html**
- مكاوي، إبراهيم، الحركة الطلابية الفلسطينية في داخل كمدرسة لبلورة الهوية القومية، مجلة الجيل الجديد الفلسطينية 2002/11/30.
- http://www.calstatela.edu/academic/psych/html/phinney.htm
- http://changingminds.org/explanations/theories/in-group_bias.htm
- Gurr, Ted R. Why Men Rebel. Princeton, N.J: Princeton University Press,,1970, p. 24.
- R. M. Sorrentino & E. T. Higgins (Eds.), Handbook of motivation and cognition (Vol. 3, p. **85**). New York: Guilford Press.
- The School of Psychology – the Australian National University website, www.anu.edu.au/psychology/social/socident.htm
- S. Worchel and W. G. Austin (Eds.), The psychology of Intergroup Relations, Chicago: Nelson-Hall.
- Tajfel, H. Human groups and social categories. Cambridge, UK: Cambridge University Press. 1981.